
1
قصص
المبشرون
بالجنة
رفيق
الرحلة
سلوى العنانى
دار اللطائف

مقدمة

كانوا بشرًا مثلنا .. لكننا لا نشبههم .. فقد كانوا راسخى الإيمان ، ذوى نفوس شفافة .. تأكد اتصالهم الروحى بخالقهم .. كانت لهم فرصة لم تكن لكثيرين غيرهم ، فهم من صحابة رسول الله الذين تتلمذوا على يديه يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة ، وآمنوا به وبالله الواحد القهار .. فباعوا الحياة واشتروا آخرتهم بالعمل المخلص الصالح .. مارسوا الحياة .. باعوا واشتروا ، تزوجوا وأنجبوا ، سافروا وأقاموا .. حاربوا وانتصروا ، صاموا وأفطروا ، ناموا جزءاً من الليل وأقاموا منه ما استطاعوا .. دخلوا المسجد .. وجابوا الأسواق .. تمتعوا بالحياة وزهدوا فى الترف .. تصدقوا ولم يبخلوا.. كانوا لإخوانهم ولنا من بعدهم مثلا رائعا للمسلم الحق الذى يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً ويعمل لآخرته كأنه يموت غداً.

مع المبشرين بالجنة نعيش سطورا محدودة بحجم كتابنا الصغير

ومعهم نعيد قراءة الحياة ونعيد ترتيب الأوراق لنرى أن الطريق سهل وهين ..

فقط نتمسك بميزان التقوى ونزن به أمورنا ..

فقط نتمسك بدستورنا (القرآن الكريم) ..

فقط نقتدى بنبينا الكريم وصحابته الأبرار الأطهار.

سلوى

رفيق الرحلة

(أبو بكرٍ الصدّيق)

انتشر الخبرُ بينَ الناسِ .. مات النبيُّ .. لبَّى رسـولُ الله نـداءَ ربهِ ، وصعدتْ رُوحُه إلى بارئها ..

كانت صدمةٌ قويةٌ على كلِّ منْ سمع الخبرَ .. فكيـف يتحمـل هؤلاءِ الذين عاشوا فى نورِ النبوةِ ، وسمعوا من الرسولِ حديثَه ورأوا فعله وموافقته ورفضَه ؟ .. كيـف يتحمـل هـؤلاءِ خبرًا مثل هذا ؟ .. وعلا النحيبُ وسالت الدموعُ ..

حتى (عمر بنُ الخطابِ) والمعروفُ عنه شدةُ الإيمانِ ورباطـةُ الجأشِ شهرَ سيفَهُ وهو يصيحُ :

- "إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسولَ الله مات ، وإنه والله ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربِّـه ، كمـا ذهـب موسـى بـنُ عمران" .

"والله ليرجعنَّ رسولُ الله فليقطعنَّ أيدى رجالٍ زعمـوا أنـه مات" .

راح ابنُ الخطاب يصرخُ بأعلى صوته ..

ـ "ألا ، لا أسمع أحدًا يقول :إن رسولَ الله مات ، إلا فلقتُ هامتهُ بسيفى هذا" ..

لقد هزت الصدمةُ (ابنَ الخطابِ) وأطاح الخبرُ بعقلهِ ، فأصبح غيرَ مصدقٍ كيف يموتُ النبى ؟ كيف يموتُ رسولُ الله؟

وسط هذا الهرجِ .. ووسط هذا الصياحِ : جاء شيخ مهيبُ الطلعةِ ، نحيلُ الجسم ، أبيضُ البشرةِ ، محنىُّ الظهرِ ، معروقُ الوجهِ ، غائرُ العينين ، ناتئُ الجبهةِ ، جاء الشيخُ المهيبُ وعلى وجهه أماراتُ الفزعِ مما يرى ، وتوجّه لفوره إلى بيت رسول الله فرآه مسجى .. فكشف وجهَه الكريمَ وقبّله وهو يبكى وقال :

"بأبى أنت وأمى ، طبْتَ حيا وميتا . إن الموتةَ التى كتبها الله عليك قد متها" ..

وأعاد الثوبَ فغطى به وجهَ النبى ، ثم خرج إلى الناسِ يحاولُ أن يهدئ من روعِهم .. لكن المصيبةَ كانت أقوى ... فما كان منه إلا أن رفع صوتَه وصاح ...

"من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات .. ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت .. تذكروا قول الله تعالى :

{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِه الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ الله

شيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ} [آل عمران : 144].

وما إن انتهى الشيخُ من تلاوةِ هذه الآيةِ حتى هـدأت ثـورةُ الناسِ .. وسقط عمرُ بنُ الخطـاب علـى الأرض يبكـى بكـاء حارًا وهو يقول : "لكأنى لم أسمع هذه الآيةَ من قبلُ قـط .. إنّـا لله وإنّا إليه راجعون" .

فمن هو هذا الشيخُ الوقورُ المهيبُ صاحبُ الإيمانِ القـوىّ ، والعقيدةِ الراسخةِ ؟ .. مـن هـذا الرجـلُ الـذى عـلا صـوتُ القرآنِ فى داخلِهِ فأسكتَ كلَّ الأصواتِ ؟ ..

إنه أبو بكر بنُ قحافة التيمى (الصدّيق) .

أول من آمن من الرجالِ بالرسول الكريمِ ..

ولنعد معه بالسـنوات لنتعـرف عليـه واحـدًا مـن أشـراف قريشٍ وأكرمِهم حسبا ونسبا .. واسعَ الثراءِ .. رابح التجـارةِ .. يعرف عنه قومُه الكرمَ ، والجودَ ، وحسنَ الخلقِ .. لكن أحدًا لم يلتفت يوما إلى أن أبا بكر لم يكن يسجد للأصنـام ، ولم يقـدّم لها القرابين .. نعم .. كـان أبـو بكـر يستنكر هـذه العبـاداتِ الحمقاء ، وإن كان لم يعلنْ هذا الاستنكارَ أبـدًا .. فقـط ابتعـد عن أماكنِ اللهوِ والعبثِ .

وقاطع الاحتفالات (الدينية) كما كان يراها قومُه الوثنيـون .

وفى نفس الوقت كان كثير التأمّل يفتش فى الكون عن شىء يفتقده ولا يستطيع أن يحـدده تمامًا .. هنـاك حقيقـة "ضائعـة" يبحث عنها فى ملكوتِ الأرضِ والسماءِ ..

وكان (أبو بكر) حافظا للشعرِ والأنسابِ .. ويُعد حجةً فـى هذا المجالِ .. وكان حفيا بأشعار (الحُنفاء)(*) .

يتأمل أفكارَهم ويراها تجيـب أحيانًـا عـن أسئلته .. لكنـها كانت فى النهايةِ تطـرحُ عليـه أسئلةً أخـرى أصعـب وأشـدّ تعقيدًا ..

خرج (أبو بكر) يومًا فى تجارة إلى الشامِ .. ولما عـاد منـها إلى مكةَ وجد أهلَها يتحدثون عما يردده (محمدٌ) وسأل (أبو بكر)..

ـ محمد الأمين ؟

ـ نعم .. (محمد بن عبد الله) ، الذى ندعوه (الأمين) .

ـ وماذا يردّد (محمد) ؟

ـ يقول : إنه قد أتاه وحى من السماء يأمره أن يدعو النـاسَ إلى عبادة الله الواحد الأحد ، وترك ما وجدنا آباءنا لها عابدين .

سمع أبو بكر حديثَ قومِه ، وكان هذا فى عام (601م) وراح يتدبر الأمرَ ..

(*) الحنفاء : هم الذين كانوا يتبعون ملة أبينا إبراهيم عليه السلام .. وكان هذا قبل ظهور الإسلام .

إنه يعرف (محمد بن عبد الله) حقَّ المعرفة .. فهو صديقهُ الذى يرى فيه كلَّ الخصالِ الحميدةِ والصفاتِ الطيبةِ .. ويكفى أن الناسَ يطلقون عليه اسمَ (الأمين) فهو الصادقُ النزيه الذى لم يعرف عنه أحدٌ يومًا أنه كذِبَ ، أو خان .

فإذا كان محمدٌ قد جاء بهذا الحديثِ الذى يتداوله الناسُ ، إذن فقد صدق .

وإلى دار (محمدٍ) الأمينِ اتجه (أبو بكر) تحدوه رغبةٌ فى أن يعرفَ الحقيقةَ من فمِ صاحبِها .

جلس (أبو بكر) إلى (محمدٍ) سأله .. وما إن انتهى النبىُّ من حديثِه حتى كانت عينا (أبى بكر) قد اغرورقتا بالدمعِ ، ووضع يمينه فى يمين النبى ونطق بالشهادةِ .

أشهد أن لا إله إلا الله وأنك نبىُّ الله ورسولُه .. وتعانق الصديقان ..

لكنه كان عناقا يختلف كثيرا عن أى عناقٍ .. إنه عناقُ العهدِ والميثاقِ .. عناقُ الحبِّ فى اللهِ وفى سبيلِ اللهِ .. عناقُ أولِ رجلٍ مسلمٍ لنبى الإسلامِ . عناقُ القلوبِ قبلَ عناقِ الأجسادِ .

ومنذ اللحظةِ الأولى شعر أبو بكر أن عليه مسئوليةً وعبئا .. فاتجه إلى أهل الثقة من أصدقائه يبلغهم دعوةَ (محمد) ..

وعلى يديه أسلم عددٌ من أشرافِ مكةَ ووجهائها وعقلائها .. أسلم على يديه (عثمان بنُ عفان) ، و (عبدُ الرحمن بنُ عوف) ، و (طلحةُ بن عبيدِ الله) ، و (سعدُ بنُ أبى وقّاص) و (الزبير بنُ العوامِ) ، و (أبو عبيدة بنُ الجراح) ..

وانتشر الإسلامُ فى ربوع مكّةَ .. انتشر كدعوة لحريةِ الإنسانِ وكرامتِهِ .. انتشر دينا يحطّم الحواجزَ بين الإنسان وخالقه ، ويلغى الوساطة والأغلالَ التى تكبّلُ بها الوثنيةُ النفوسَ .. تأمل العقلاءُ الأمرَ .. (أعمالُ الإنسانُ هى شفيعَةٌ وحدها عند الله) (تجزى كل نفس بما كسبت) .. (لا تزر وازرة وزرَ أخرى) .

ويفد الناسُ أفرادًا وجماعات أحرارًا وعبيدًا إلى النبى يعلنون إسلامَهم .. وكان إسلامُ العبد جريمةً كبرى .. فكيف يغيّرُ دينه ويعتنقُ غيرَ دينِ سيِّده ..

ويُنزل السادةُ العذابَ بعبيدِهم أملاً فى رجوعهم عما آمنوا به .. ويزداد العذابُ .. ويزداد الإصرارُ وتعلو صرخاتُ العبيد تحتَ سياطِ السادةِ .. أحدٌ .. أحدٌ .

ويسارعُ (أبو بكر) .. فيشترى العبيدَ المسلمين بأضعافِ أثمانهم الحقيقية ، ثم يعتقهم لوجه الله والإسلامِ ..

وتمضى مسيرة الدعوة بين قبول القلّة العاقلةِ وعزوف الكثرةِ الحمقاءِ ..

إلى أن كان عام (621م) .. أى بعد أحد عشر عاما من البعثة ..

جلس محمدٌ إلى جوار الكعبةِ صامتا شاردَ الذهنِ .. فاقترب مه بعضُ (المشاغبين) يسألونه ما به ؟ .. فقل :

ـ "لقد أسرى بى إلى المسجدِ الأقصى حيث صليت بإخوانى الأنبياءِ" .. وكانت صدمةً للجميع .. وجدها الكفارُ ذريعةً للسخريةِ من (محمدٍ) الذى ذهب إلى بيت المقدسِ ثم عاد منه فى ليلة واحدة .. وهو طريق تقطعه الإبلُ ذهابًا فى شهر ، وعودةً فى شهرٍ آخر ..

أما قليلو الإيمان فقد وجدوها فرصة للارتداد .. فكيف كان موقفُ (أبى بكر) ؟ ..

لقد ذهب الناسُ إليه فى بيته يقولون :

ـ أدركْ صاحبَك .

ـ وهل أصابه سوءٌ ؟

ـ إنه عند الكعبةَ يحدِّث الناسَ أن ربَّه أسرى به إلى بيت المقدس .. فذهب وعاد إلينا فى ساعاتِ الليل ..

وعلت السكينةُ إلى قلبِ أبى بكرٍ .. وتهلل وجهُهُ وقال :

ـ أى بأس .. ؟ إنى لأُصدقه فيما هو أبعدُ من ذلك أصدقه فى خبر السماء يأتيه فى غدوةٍ أو روحةٍ .. إن كان قد قال .. فقد صدق" .

وأسرع إلى الكعبةِ .. حيث كان رسولُ الله يواجه وحده جدل السفهاءِ وتعليقاتِ الحمقى ..

وإلى أحضان النبى ألقى أبو بكر بنفسه وهو يقول :

ـ بأبى أنت وأمى يا رسولَ الله .. والله إنك لصادقٌ .. والله إنك لصادق .. والله إنك لصادق ..

ومن يومها أطلق على أبى بكر لقبُ (الصدِّيق) ..

وتمضى مسيرةُ الإسلام فى نضالها وكفاحها ضد الطغاةِ الكافرين .. ويعانى المسلمون من بطش قريش وظلمها .. فيهاجر بعضُهم إلى (الحبشةِ) .. ويهاجر البعضُ إلى (يثرب) ، ويبقى رسولُ اللهِ فى مكةَ مع بعضِ أصحابِهِ ينتظرون أن يأذنَ اللهُ لهم بالهجرةِ .. كان الثلث الأخيرُ من الليل عندما اتجه النبىُّ إلى دار (أبى بكر) .

ـ "يا (أبا بكر) إن الله أذن لى بالهجرةِ" .

تهلّل وجهُ (أبى بكر) وقال : الصحبةَ يا رسولَ اللهِ" .

فرد عليه النبىُّ .. "الصحبةَ يا أبا بكر" .

ويُجن جنونُ كفارِ قريشٍ ، وتشتعلُ المطاردةُ .. فكيف يخرجُ محمدٌ من مكةَ ؟ .. إن هذا يعنى له حياةً جديدةً مستقرةً واستعدادًا لأخذِ الثأرِ من قريشٍ ..

ويختبئ الصاحبان فى الغار .. ويصل فتيان قريشٍ على مقربةٍ منهما . ويتسللُ الخوفُ إلى قلبِ (أبى بكر) ويهمسُ إلى صاحبِهِ .

"لو نظر أحدُهم تحتَ قدميه لأبصرنَا" ..

فيجيبه النبىُّ الكريمُ : "يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما" ؟؟

{إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة : 40]

ويظل (أبو بكر) إلى جوارِ النبىِّ .. ساعدَه الأيمنَ فى غزواته يقاتل معه ، ويدافع عنه .. يحفظ عنه القرآن ويتدارس معه شئون المسلمين .. وزيرًا أول .. ونموذجًا للإيمان الخالص .. والحبُّ الصادقِ للنبى الرسول ..

ونرجع إلى اليومِ الحزين .. يوم وفاةِ الرسولِ الكريـمِ حيث قامت الزوبعةُ الكبرى واهتزّ أغلبُ الناسِ بمن فيهم (عمرُ ابنُ الخطاب) ، حتى وقف (أبو بكر) خطيبا ليقول :

ـ "من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات .. ومن كان يعبدُ الله فإن الله حى لا يموت" ..

بعدها اجتمع أقطاب المهاجرين والأنصارِ ليختاروا فيما بينهم خليفةً لرسولِ الله .. وكاد الخلاف يشب بين المسلمين .. لولا أن أخذ (أبو بكر) بيد (عمر بنِ الخطاب) وبيد (أبى عبيدة بنِ الجراح) وهو جالس بينهم ، وقال : رضيت لكم أحد هذين الرجلين ..

فانطلق صوت (عمرَ بنِ الخطاب) الجهورى : ابسط يدك يا (أبا بكر) .. فبسط (أبو بكر) يدَه فبايعه (عمرُ) وهو يقول :

ـ "ألم يأمرْكَ النبىُّ بأن تصلى أنت يا (أبا بكر) بالمسلمين .. فأنت خليفته ، ونحن نبايُعك ، فنبايع خيرَ من أحب الله منا جميعا " وانتهى ما كان قد بدأ من خلافٍ بين المهاجرين والأنصارِ وأعلن الجميعُ البيعةَ (لأبى بكر) خليفةَ المسلمين ..

وقف (أبو بكر) على منبرِ المسجدِ .. ليلقى بأولِ خطاب له بعد أن بايعه كلُّ المسلمين .. وقف يقدم (ورقةَ عملِه ويضع

دستوره) : فماذا قال ؟

"أيها الناسُ .. قد وُلّيت عليكم ، ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينونى ، وإن أسأت فقومونى .. الصدق أمانةٌ ، والكذبُ خيانةٌ ، والضعيفُ فيكم قوىٌّ عندى حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحقَّ منه إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهادَ فى سبيل الله إلا حزبهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشةُ فى قومٍ إلا همهم الله بالبلاءِ .. أطيعونى ما أطعت اللهَ ورسولَه ، فإن عصيت الله ورسولَه فلا طاعة لى عليكم" .

وبر (أبو بكر) بوعده .. فكان حكمه عدلا .. وشورى وجهادا فى سبيلِ اللهِ ورفعًا لرايةِ الإسلامِ .. لم يغير (المنصبُ الجديدُ) شيئا من (أبى بكر) .. فقد ظلَّ الزاهدَ العاكفَ ، القانتَ ، العاملَ .. الآخذَ برأى الجماعةِ حتى آخر أيامِه ..

اتسعت دولةُ الإسلامِ فى عهد أبى بكر ، وعمَّ الخيرُ .. وتدفقت الأموالُ إلى (بيت المال) لكن هذا لم يغر (أبا بكر) .. فلم يغير ثوبَه بآخر فاخر .. ولم يغير بيته بآخر واسعٍ ..

وحين أدركه الموتُ دعا ابنته عائشةَ (أمَّ المؤمنين) وقال لها :

ـ "انظرى ما زاد فى مال (أبى بكر) منذ ولى هذا الأمرَ

فرُدّيه على المسلمين" .

فماذا ترك أبو بكر .. وهو الذى كان يومًا من أثرياء العربِ والذى أنفق مالَه كلَّه فى تحريرِ العبيدِ المستضعفين وفى الإنفاق على الغزواتِ وتسليحها ، وفى إطعام الفقراء والمساكين .. ماذا ترك أبو بكر ؟

ترك بعيرًا كان يحملُ عليه الماءَ .. وآنية كانوا يحلبون فيها اللبن وعباءة كان يستقبل بها الوفود .

هذا هو خليفةُ رسول الله الذى لم تغيّره الخلافةُ ، ولم تمنعْه من تقديمِ الخيراتِ للآخرين ..

كان قد اعتاد على زيارة بيوت بعضِ جيرانه من الأرامل والأيتام ، فلما ولى الخلافة لم يتوقفْ عن فعل هذا الخيرِ .. وكان يطرق هذه الأبوابَ كما تعوّد .. فيحلبُ الشياه للعجائز ويطهو الطعامَ لليتامى ، ويعجن العجين لغيرِ القادرات ، كان أبا لمن لا أب له .. وعائلا لمن لا عائل له .. وأخا لمن لا أخ له..

وابنًا ـ أحيانًا ـ لمن لا ابن له .. فقد تعلّم كيف يكون (الحُبُّ) على يد المعلِّم الأكبرِ .. والأستاذِ الأولِ .. كان له صَديقا (صِدِّيقا) .. ورفيقًا .. ثم أصبح له خليفةً ..

عليك سلامُ اللهِ يا أبا بكر ..